أمريكا ترتبط بقائد حديدي في غينيا الاستوائية

آدم نوستر - نيويورك تايمز(*)
ترجمة: مصطفى الخطيب

غينيا الاستوائية.. إذا كانت الولايات المتحدة قد تخلّت عن بعض الحكّام المستبدين في شمال إفريقيا والشرق الأوسط؛ فإن موقفها يبدو غامضاً تجاه الحكام الأفارقة المستبدين الذين ما زالوا يحكمون بلداناً لم تشهد اضطرابات بعد، وربما أكثر مكان يتجسّد فيه هذا الغموض البقعة الغنية بالنفط في خليج غينيا.

يحكم «تيودورو أوبيانج نجويما مباسوجو» غينيا الاستوائية، منذ أكثر من ثلاثين عاماً، حيث «يمتلك القوة التنفيذية المطلقة» - على حدّ قول البنك الدولي -.

وبشكل رسمي وغير رسمي؛ فإن الأمريكيين يتعاملون مع واحد من أسوأ الحكّام في العالم فيما يخص حقوق الإنسان، إنه حاكم غينيا الاستوائية، الدولة التي تُعد رابع أكبر مُصدّر للبترول في إفريقيا، فسجل الحريات لديها، والذي يلاقي نقداً على نطاق واسع، لم يقدّم

مانعاً كبيراً أمام علاقتها الواسعة مع الولايات المتحدة على المستوى التجاري والدبلوماسي.

الشركات النفطية الأمريكية لديها المليارات تستثمرها في غينيا، وبلغة تجعل مناصري حقوق الإنسان يغضبون من مدح أحد الدبلوماسيين الأمريكيين «القيادة اللطيفة والرقيقة» للديكتاتور الموجود في السلطة لأكثر من ثلاثين عاماً «تيودورو أوبيانج نجويما مباسوجو»، وذلك في برقيات عام ٢٠٠٩م التي سرّبها موقع ويكيليكس.

أوجدت عقود من القمع والتعذيب «المنظّم» ثقافة الخوف في المستعمرة الإسبانية السابقة التي يعيش بها ٦٧٠ ألف شخص والدولة الإفريقية الوحيدة المتحدثة باللغة الإسبانية

كما أن هناك مقاولاً عسكرياً أمريكياً كبيراً ذا روابط قوية بالبنتاجون، له تعاقدات بعدة ملايين لحماية شواطئ أوبيانج، وللمساعدة في تدريب قواته، والمقاول هو شركة «ميليتري بروفيشنال ريسورسز»، والتي يرأسها مساعد كبير لوزير الدفاع السابق دونالد رامسفيلد، وهي تعمل في مجال الأمن البحري، وتدريب قوات الشرطة التابعة

(*) آدم نوستير: صحافي أمريكي عمل بعدة صحف: منها واشنطن بوست، وسان بطرسبرج، ومجلة أتلانتا، قبل أن ينتقل للعمل في صحيفة نيويورك تايمز في عام ١٩٩٢م، ويصبح مدير مكتب الصحيفة في غرب إفريقيا.

لأوبيانج على حقوق الإنسان، ولكن حتى مع التدريب فإن الأمم المتحدة ومجموعات حقوق الإنسان والمعارضين المحليين يقولون إن سلطات الدولة تظل تمارس التعذيب بشكل منظّم!

ويلمس الأمن البحري أكثر الجوانب حساسية للدفاع عن أوبيانج، خصوصاً في عاصمة هي عبارة عن جزيرة، وقد حدثت بها محاولات للانقلاب آتية من البحر.

وحتى شهر مارس؛ فإن المستشار الخاص للرئيس السابق بيل كلينتون «لاني ديفيز» كان له تعاقد بمليون دولار سنوياً لكي يساعد أوبيانج لتحسين الصورة، وقد قال «ديفيز» في مقابلة في أواخر العام الماضي: «إنّه – أي أوبيانج – في حالة عدم وجود أصدقاء فإنه يشعر بحاجة إلى الحماية».

وقد صنفت مجموعة المراقبة «فريدوم هاوس» غينيا الاستوائية ضمن الدول التسع «أسوأ الأسوأ» الأكثر قمعية في العالم، بالإضافة إلى ليبيا وتركمنستان وميانمار، كما أطلقت على حكومة البلد «نظام فاسد للغاية؛ مع أسوأ السجلات لحقوق الإنسان في إفريقيا».

وقد أوجدت عقود من القمع والتعذيب «المنظّم» – بحسب الأمم المتحدة – ثقافة الخوف في المستعمرة الإسبانية السابقة التي يعيش بها ٦٧٠ ألف شخص، والدولة الإفريقية الوحيدة المتحدثة باللغة الإسبانية.

ويقول «مانفريد نواك» – والذي كان لوقت قريب يعمل محققاً خاصاً للأمم المتحدة في ملف التعذيب –: «لم يُخفوا حتى أدوات التعذيب، لقد كانت على الطاولة!»، وعند إجراء مقابلة معه بالقصر الرئاسي رفض أوبيانج، الأطول حكماً في شبه الصحراء الكبرى بإفريقيا، تلك التأكيدات، وقال: «ليس لدينا تعذيب»، مضيفاً: «المنظمات الدولية اتهمت الشرطة لدينا بسوء معاملة السجناء، وهذا هو سبب استئجاري لشركة «ميليتري بروفيشنال ريسورسز» لتدريب الشرطة، وهي تقوم بدورها بشكل مناسب».

وقد وجد «نواك» الوضع مختلفاً، وقال: «أنا مقتنع بشدة بأن هذه هي سياسة الحكومة، إنهم يعرفون بالضبط ما الذي يحدث».

يدافع السفير الأمريكي الحالي عن حكومة أوبيانج ضد إحصائيات البنك الدولي ومنظمات حقوق الإنسان التي تُظهر فجوة عميقة بين ثروة البلاد النفطية - التي تذهب بشكل كبير لعائلة أوبيانج - والفقر المنتشر بين السكان

والمواطنون الذين لديهم الجرأة الكافية للتحدث حول المناخ السياسي في غينيا الاستوائية يتمازحون خلف الأبواب المغلقة حول كوريا الشمالية بوصفها نموذجاً يُحتذى!

في الشهر الماضي تم اعتقال قادة المعارضة لوضعهم ملصقاً يدعو للتظاهر ضد أوبيانج الذي أطاح بعمّه المعروف بوحشيته في انقلاب عام ١٩٧٩م، وفاز في الانتخابات الأخيرة هنا في نوفمبر ٢٠٠٩م بأكثر من ٩٥٪ من الأصوات.

إن التجوّل في المناطق المجاورة حتى لو كان على سبيل الخطأ يهبط بك في قسم للشرطة، وزيارة إلى عضو برلمان معارض

منعزل في مدينته المنهارة سرعان ما تتعرف عليهـا الجهات الأمنية بسـهولة؛ مما يجلب لـك تحذيرات شـديدة من وزيـر الإعلام، والحكومة هي المسـؤولة عن نشر الجريدة الوحيدة، والتي تأتي متأخرة خمسـة أشهر عن الأحداث.

يقول «بلاسـيدو ميكو» المحامي – وهو النائب المعارض الوحيد، والذي اعتقل مرات عديـدة –: «يمكن لأي شـرطي أن يعتقل أي مواطن في أي وقت»، ويتذكر «ميكو» تعرّضه للضـرب في وجود مسـؤولين كبار في وقت متأخـر من إحدى الليالي فـي عام ١٩٩٢م، مؤكداً أن التعذيب «أمر سائد».

ويـروي «جونزالو ندونج سـيما» – وهو صيدلي في وسط المدينة – مواجهته الأخيرة للشـرطة حول مخالفة مرورية بسيطة: «لقد ضربوني مثل الحيوان!».

وعلى الرغم من ذلك؛ فما يزال مسؤولون أمريكيـون يدعون لرؤية أكثـر وردية للبلد، ونصحت السـفارة الأمريكية هنا في برقيات ٢٠٠٩م بأنه «حان الوقت للتخلي عن الحكايات الأخلاقية» حول غينيا الاسـتوائية، وإخفاء تقارير الفسـاد التي وثقها مجلس الشـيوخ الأمريكـي وغيره، وقالت إحـدى البرقيات: «الأمور تظهر بوضوح».

يدافـع السـفير الأمريكـي الحالي عن حكومة أوبيانج ضد إحصائيات البنك الدولي ومنظمات حقوق الإنسـان التي تُظهر فجوة عميقة بين ثروة البلاد النفطية – التي تذهب بشـكل كبير لعائلة أوبيانج – والفقر المنتشر بين السـكان، فمعدّل وفيـات الأطفال على سـبيل المثال تزايد منذ اكتشاف النفط هنا في التسـعينيات؛ بحسب البنك الدولي الذي أضـاف أن أوبيانج في يده «سـلطة تنفيذية مطلقة».

ويقول السفير ألبرتو فرناندز: «يمكنك أن تجادل في كل إحصائية من هذه الإحصائيات»، ونتيجـة لذلك فإن أوبيانـج يُظهر حباً كبيراً للولايات المتحدة.

الأمريكيون يتعاملون مع واحد من أسوأ الحكام في العالم فيما يخص حقوق الإنسان، إنه حاكم غينيا الاستوائية، الدولة التي تُعد رابع أكبر مُصدّر للبترول في إفريقيا

يُعـد الوجـود الأمريكي في هـذا البلد ضرورياً للولايات المتحدة، فشركات شيفرون وماراثـون أويـل ونوبل إنرجـي لها مصالح أساسـية في غينيا الاسـتوائية، سواء على الشـاطئ أو بالقرب منه، كما أن وجود عمال النفط الأمريكيين معتاد في المطار شـديد الصغر علـى حافة المدينـة، والبحر الذي يحيـط بجزيـرة بيوكو، حيث تقـع «مالابو» العاصمة، يبدو مضاء بمشـاعل تشـير إلى إنشاءات شركات النفط.

إن وجود شـركة «ميليتري بروفيشـنال ريسورسـز»، وشـركة «فيرجينيـا للأمـن العسـكري» التي يديرها الجنرال بانتز جيه كـرادوك، القائـد الأعلى لقـوات التحالف السـابق في أوروبـا، أثار انتبـاه منظمات حقوق الإنسان والمعارضين المحليين، لذلك عارضت الخارجية الأمريكية عمل الشـركة هنا بسبب السـجل الفقير لغينيا الاستوائية في حقوق الإنسان، ولكنها في النهاية وافقت تحت حكم الرئيس بوش في ٢٠٠٥م وسـط

وعود بالإصلاح من جانب حكومة أوبيانج – وفقاً لمنظمة هيومان رايتس ووتش –.

وعلى الرغم من عمل شركة «ميليتري بروفيشنال ريسورسز» مع شرطة البلد؛ فإن السيد «نواك» المحقق السابق في شؤون التعذيب بالأمم المتحدة وجد أن الحراس والجنود كانوا يناوبون استخدام الصدمات الكهربية للسجناء السياسيين في «البلايا نيجرا» أو (الشاطئ الأسود)، وهو سجن مجاور للقصر الرئاسي في مدينة «مالابو» بوسط البلاد.

واكتشف السيد «نواك» هذه الممارسات في نوفمبر ٢٠٠٨م، أي بعد عام على الأقل من ممارسة شركة «ميليتري بروفيشنال ريسورسز» لتدريباتها هنا على حقوق الإنسان، وذلك طبقاً للتسلسل الزمني الحكومي، وقد عبّر هو ومحتجون هنا عن سخطهم لاستمرار التعذيب كسياسة راسخة للحكومة، على الرغم من عدم وجود دليل بأن هذه الشركة تتغاضى عن تلك الممارسات أو تشارك فيها.

ويقول السيد «نواك»: «لو كنت مدرباً، لغادرت البلد لأني كنت أشعر أني سيتم استغلالي، إنها عملية ورقة التوت»، ورفضت الشركة التعليق، مؤكدة عبر متحدث، في نوفمبر الماضي، أنها تلقت مؤخراً عقداً من غينيا الاستوائية من أجل القيام «بطريقة إجمالية بتوفير الأمن للخط الساحلي وبعض المراقبة الساحلية»، وهو نطاق يمس مكامن القلق الأمنية لدى أوبيانج، حيث كانت أحدث محاولة انقلاب عليه في ١٧ فبراير ٢٠٠٩م قد تمت من خلال مهاجمة القصر الرئاسي بواسطة رجال مسلحين، وصلوا لحوض السفن السفلي في قوارب.

وطبقاً لبيان صحافي؛ فإن عقد شركة «ميليتري بروفيشنال ريسورسز» يستحق ٢٥٠ مليون دولار،

وبالرغم من الثروة النفطية للحكومة؛ فإن القليل من عائداته يستفيد منه الشعب الفقير، وتقول «مارسيال أباجا باريل» عضوة بحزب معارض: «مصلحة الأمريكيين هنا هي المال».

وطبقاً لدخل الفرد على الورق؛ فإن المواطنين في هذا البلد أغنياء مثلهم مثل أقرانهم في إسبانيا وإيطاليا نتيجة للثروة النفطية، ولكن في الحقيقة فإن حوالي ٧٧٪ من السكان يعيشون تحت خط الفقر – بحسب هيومان رايتس ووتش –.

كما أن أحياء كامبو ياوندا وفيستون الفقيرة الموحلة المتمددة بشوارعها القذرة وأكواخها الخشبية وندرة الكهرباء لا تقارن بالكاتدرائية الأنيقة ذات الطابع الاستوائي – القوطي، والتي تُعد الوجه العام لعاصمة الجزيرة الهادئة، حتى إن منتقدي أوبيانج يشعرون أنهم مجبرون على وضع صورته على الجدران خوفاً من الجهات الأمنية، وتقول «روزا لوكا موباك» إحدى المقيمات في فيستون: «أموال النفط لا تأتي هنا».

ويصرّ أوبيانج، الذي يبلغ الـ ٧٠ عاماً، والذي كان قد تلقى تدريباً عسكرياً خلال فترة الديكتاتور العسكري لإسبانيا فرانسيسكو فرانكو في بداية الستينيات، على أن الولايات المتحدة كانت حليفته، ملقياً باللوم فيما يتعلق بأحكام الإعدام الأخيرة للمتهمين بتنفيذ انقلاب على الاستمرار غير المرغوب فيه لقوانين «عدالة الاستعمار الإسباني» في بلاده.

ويقول السيد باريل النائب المعارض: «لا يريد أحد التحدث لأن الجميع خائفون، الجميع يغلقون أفواههم»!